مقومات الشخصية القيادية للصحابي عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

حافظ لصفر

بكالوريوس في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع

ماجستير في إدارة الموارد البشرية وماجستير في الإدارة التربوية وماجستير في القيادة المجتمعية

باحث دكتوراه في الفلسفة

الحلقة (٢)

الفصل الثالث : الملامح العامة في الشخصية القيادية في سيرة عمر بن الخطاب

الفراسة والذكاء

عن نافع عن ابن عمر قال : بينما عمر جالس إذ رأى رجلا فقال : قد كنت مرة ذا فراسة وليس لي رأي إن لم يكن قد كان هذا الرجل ينظر، ويقول في الكهانة : ادعوه لي فدعوه، فقال : هل كنت تنظر وتقول في الكهانة شيئا قال : نعم[1]، كان رجلا موهوبا لتكوينه العلمي والإيماني والطبيعي الوهبي، إنه عبقري لأن الفراسة صفة طبيعية فيه، وكرامة من كراماته، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره "[2].

الأمانة والصدق

المسلم الحق هو الأمين؛ الذي يأتمنه الناس على كل شيء، فهو أمين في البيع والشراء، وأمين في الكيل والميزان، وأمين على ودائع الناس وعلى أسرارهم، والإسلام أعظم أمانة حملها الإنسان؛ فالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وجوارح الجسد أمانة، ونعم الله، والعلم، والعدل بين الناس، كلها أمانات، فالأمانة خلق كريم يدل على الورع والتقوى، والإخلاص، ومراقبة الله عز وجل جلاله، وسائر الأخلاق الفاضلة، في عهد

[1] اخرجه عبد الرزاق ومالك واسناده ضعيف
[2] رواه الشيخان

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انطلق جيش المسلمين ليفتح "المدائن" عاصمة الفرس، فنصرهم الله عز وجل جلاله على الجيش الفارسي، وبعد المعركة جمع المسلمون الغنائم الثمينة – وكان أكثرها من ثياب كسرى وجواهره – وسلموها إلى سعد بن أبي وقاص قائد الجيش، وقسم سعد الغنائم، وبعث بنصيب بيت المال إلى عمر بن الخطاب، وفيه بساط كسرى وتاجه وجواهره، فلما رآها عمر بن الخطاب تعجب بأمانة الجيش وقائده؛ حيث لم تغرِهم هذه الغنائم الثمينة، وقال: " إن قومًا أدوا هذا لأمناء "، وكان علي بن أبي طالب موجودًا عنده، فقال له: " إنك عففت فعفت رعيتك، ولو رتعت لرتعت "، أي أنك لو أخذت أكثر من حقك لفعلوا مثلك.

التواضع والخدمة

ذكر أبو القاسم الأصفهاني عن طارق بن شهاب قال: قدم عمر الشام فتلقته الجنود وعليه إزار وخفان وعمامة، وهو آخذ برأس راحلته، فقالوا يا أمير المؤمنين: تلقاك الجنود والبطارة[1]، وأنت حالك هذه، فقال: "إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فلن نلتمس العزة بغيره"[2] قال عمر بن الخطاب: "أصابت امرأة وأخطأ عمر"[3].

القوة والشجاعة: كان لعمر هيبة يستحضرها المؤمنون وغيرهم هيبة من قوة النفس، وليس من القوة الجسدية التي كان يتمتع بها، وروت السيدة عائشة رضي الله عنها أنها طبخت له عليه السلام حريرة، ودعت سودة لتأكل منها، فأبت فعزمت عليها لتأكلنا ولتلطخن وجهها، فلم تأكل، فوضعت يدها في الحريرة ولطختها بها، وضحك النبي عليه السلام، وهو يضع حريرة بيده لسودة، ويقول: "لطخي أنت وجهها" ففعلت، ومر عمر فناداه النبي: يا عبد الله، وقد ظن أنه سيدخل، فقال لهما: قوما فاغسلا وجهيكما، قالت السيدة عائشة: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه"[4].

إن شخصية عمر قوية بإيمانها بالقضية الإسلامية، فهو جندي شجاع لا يخاف في الله لومة، ويتميز بمواقفه الصارمة وصفاته المثلى من شجاعة وخشونة ومطيع وغيور على الشرف، سريع النجدة، ومحب للنظام، مؤمن بالحق والواجب، فالنظام كان خلقا أصيلا في طبيعة عمر حتى فيما يتفرع عليه، ويدخل منه في

[1] البطارة رجال الكنيسة كالبطاركة
[2] اب والقاسم الاصفهاني "سير السلف"186 وابن ابي شيبة المصنف13 /41الحاكم المستدرك 1/62
[3] ابن الجوزي"مناقب"ص149 ابن كثير التفسير 2/213 وعزاه للزبير بن بكار وقال فيه "انقطاع"
[4] الالباني السلسلة الصحيحة الصفحة363/7 واية عائشة ام المؤمنين اسناده حسن اخرجه اب ويعلي(4476)

عداد الأشكال والنوافل، وكان يأمر الجنود بتجنب السمنة في قوله: "إياكم والسمنة، فإنها عقلة، وإياكم والبطنة، فإنها مكسلة"، كان يأمر بتعلم السباحة والرماية والفروسية والمصارعة، وكل رياضة مفيدة للجندية، وتتهذب بها الأخلاق والأبدان[1]، كان يكره المهازل، ويحب بفطرته الجد، كان يمشي شديد الوطء على الأرض جهوري الصوت، كان يتصرف بقوة في تصريف الأمور العاجلة الموصلة للغرض بدقة في موقفه من تطاول سهيل بن عمر بإزالة ثنيته السفليتين، فلا تقوم له قائمة في الخطابة وموقفه من المرتدين والدولة إبان نشأتها وفتوتها، وجده نفيل من أهل الشدة والبأس.

الحزم والحسم

قال عمر: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنه أهون"[2]، شهد له الرسول، وأصحابه بأنه رجل شديد في الحق بل أشد الأمة في الحق، والشدة في الحق تعني الأخذ بعزائم الأمور، وحمل الناس على جادة الصواب، وكذلك تمثلها في النفس أولاً؛ ثم بعد ذلك تطبيقها على الآخرين، فهيبة الدولة تعني الاعتزاز بالمنهج، وعدم التفريط فيه؛ وهذا الحرص على حماية وحدة الدولة في زمن تكالبت فيه الأمم على الإسلام والمسلمين، وجب فيه أخذ الأنفس بالعزائم قدوة وأسوة، ثم حمل الجميع على ذلك، حتى يستقيم عضد الدولة، وتحفظ سيادتها وتحترم بين الدول؛ أما الدولة التي لا يكون قادتها أشداء في وقت الشدة؛ يضعون السيف في موضع الندى، والأخير في موضع السيف، فإنها تضعف، وتصبح في مهب الريح تتقاذفها الأهواء[3].

العدل والرفق

صفتان لازمتاه متمكنتان فيه لا تخفى على ناظر متمعن لم يكن عادلا لسبب محدد، بل لأسباب عديدة أذكر منها: عامل الوراثة الاجتماعي، وورث القضاء من قبيلته، وآبائه، فهو من بيوت بني عدي تولوا السفارة والتحكيم في الجاهلية، واعتادوا جيلا تلو جيل على الإنصاف والعدل وفصل الخطاب، وجده نفيل هو الذي قضى لعبد المطلب على حرب بني أمية حين احتكما إليه، وتنافسا على الزعامة، فهو عادل ابن العادلين، ونشأ في مهد الحكم والموازنة بين الأقوياء[4]، وكان أيضا مستقيما بتكوين جبلته وبتكوينه

[1] عباس محمود العقاد "العبقريات الإسلامية المجلد 1 دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة طبعة 1984 ص 435
[2] ابن الاثير "اسد الغابة في معرفة الصحابة"
[3] أحمد ربيع أحمد اسماعيل "جوانب من عبقرية عمر بن الخطاب في إدارة الدولة الإسلامية"، كلية العلوم والآداب بمحافظة عقلة الصقور، جامعة القصيم السعودية.
[4] عباس محمود العقاد "العبقريات الإسلامية، المجلد 1، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، طبعة 1984 ص: 399

الموروث، ومصاحبته للرسول الكريم، وتلقيه لأسمى تعاليم التربية الربانية الإيمانية الخالصة لوجه الله، فكان من المتشبعين بتعاليم الدين ومستمد عدله من تقاه وإيمانه وإحسانه، كان يساوي وينصف بين الناس كأسنان المشط، ويقضي الحقوق، ويقيم الحدود، فسوى بين أبنائه وسائر أبناء المسلمين، كان يميل إلى التوازن والمساواة، ويخشى أن يفسد الناس إذا لان فوق الليونة والمرونة المعتادة أو اشتد عليهم مجبرا ومذلا بالقوة، فسلك طريق الاعتدال والوسطية بين الشدة والليونة[1]، ثم طبيعته الخيرة وطويته السليمة، كان يصل رحمه والمسلمين كافة، قال اسلم رجنا مع عمر رضي الله عنه إلى حرة، وأقام حتى إذا كنا بصرار[2]، إذا نار تؤرث[3]، فقال إني أرى ها هنا ركبانا قصر بهم الليل والبرد، انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا امرأة معها صبيان وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون[4]، فقال عمر: السلام عليكم يا أهل الضوء، وكره أن يقول: يا أصحاب النار فأجابته امرأة، وعليكم السلام، فقال أدن، فقالت: ادن بخير أو دع، فدنا منها فقال: ما بالكم قالت: قصر بنا الليل والبرد، قال: وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون، قالت: الجوع، قال وأي شيء في هذا القدر؟ قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا.. والله بيننا وبين عمر، فقال أي رحمك الله، وما يدري عمر بكم، فقالت يتولى أمرنا، ثم يغفل عنا، فأقبل علي فقال: انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلا من دقيق وكبة من شحم، وقال: احمله علي قلت: أنا أحمله عنك، قال: أنت تحمل وزري يوم القيامة..لا أم لك، فحملته عليه وانطلقت معه نهرول، فألقى ذلك عندها، واخرج من الدقيق شيئا، يقول لها: دري علي، وأنا أحرك لك[5]، وظل ينفخ تحت القدر حتى استوى الحساء وأطعم الصغار، كان يملك قلبا حنونا يرق للضعفاء، وقد ظهر هذا واضحا في موقفين: الأول عندما هم جيرانه المسلمين في التجهيز للسفر للحبشة فرارا من تعذيب قريش – وكان عمر من أشدهم تعذيبا للمسلمين – فلما رأى جارته تعد عهدتها للرحيل رق قلبه لها، فعن حمد بن إسحاق عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبي جثمة قالت: والله إنه لنرتحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا إذ أقبل عمر، حيث وقف علي وهو على شركه قالت: وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشرا علينا فقالت: فقال: إنه الانطلاق أي أم عبد الله؟ قالت: قلت: نعم

[1] كامل الكيلاني "مصارع الخليفة "، مؤسسة هنداوي، مصر طبعة 2012 ص: 17
[2] مكان قريب من المدينة
[3] توقد-تشعل
[4] يتباكون ويتصايحون
[5] أي حريرة أو الحساء من الدقيق والشحم الدائب

والله لنخرجن في أرض الله آذيتمونا وقهرتمونا ليجعل الله لنا مخرجا قالت: فقال صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف، وقد أحزنه فيما رأى خروجنا قالت: فجاء عامر من حاجتنا تلك فقلت له: أي أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا قال: طمعت في إسلامه[1].

المتابعة والتفقد

قال عمر بن الخطاب: "فإنه لا ينفع التكلُّم بحقٍّ لا نفاذَ له"، والمقصود من قول سيدنا عمر – رضي الله عنه – هو الحثُّ على تنفيذ الحق إذا فَهِمه القاضي؛ إذ لَم ينفع تَكلُّمه به إن لَم يكن له قوة تنفيذيَّة، فهو تحريضٌ منه على العلم بالحقِّ والقوة على تنفيذه؛ قال ابن قيِّم "الجوزية "ولاية الحقّ" نفوذه، فإذا لَم يَنفذ، كان ذلك عزلاً عن ولايته، فهو بمنزلة الوالي العدل، الذي في توليته مصالِحُ العباد في معاشهم ومعادهم، فإذا عُزِل عن ولايته، لَم يَنفع[2].

قال عز وجل جلاله "واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار"، الأيدي: أُولي القوة في طاعة الله، والأبصار: البصائر في الحقِّ، ويعني بذلك: العلم النافع، والعمل الصالح، والقوة في العبادة، والبصيرة النافذة[3].

كان عمر قائدا عمليا يتابع كل صغيرة وكبيرة بالدولة تنم عن روح إسلامية لامثيل لها في أي زعيم مسلم آخر يشعر بالمسؤولية أمام الله عن كل من كان تحت حكمه (الجنود والشيوخ والشباب والنساء والرضع والرعايا غير المسلمين... وحتى الحيوانات)، وقوته استمدها من الالتزام قلبا وقالبا بالإسلام كمنهج وسبيل لحل المعضلات والقضايا التي كانت مطروحة أمام المسلمين[4].

قال قولته الشهيرة "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"، حيث كان حريصا على تتبع الظلم والجور الذي يلحق بالرعية من بعضهم البعض، ومن بطش الولاة الذين عينهم بالأمصار ليرعوا حرية وحقوق العباد بتلك المناطق ومن جميع النواحي حيث كان يتابع أحوال المواطنين، ويحرص على كرامتهم وعيشهم الكريم، لأنه واع بخطورة المسؤولية الملقاة على عاتقه، وتدبير أمورهم في شتى الجوانب، حمل على رقبته يوم لا ينفع مال ولابنون أي قائد مسؤول لقول رسول الله "كلكم راع وكلكم مسؤول عن

[1] أحمد بن حنبل "فضائل الصحابة"
[2] ابن القيم الجوزية "أعلام الموقعين"
[3] تفسير ابن كثير
[4] محمد الصلابي "عمر بن الخطاب حياته وأزمنته"، دار النشر العالمية، طبعة 2007، ترجمة الكتاب للإنجليزية من طرف ناصر الدين الخطاب ص10- 15

رعيته"، ولم يقتصر في قيادته على حسن متابعة أحوال الرعية داخل الدولة الإسلامية بل كان يتدبر مع الصحابة الأجلاء العلاقات الدبلوماسية مع الأمم الأخرى، وعقد معاهدات اقتصادية وعسكرية وعلمية "البعد الاستراتيجي التنظيمي لديه".

التخطيط والتنظيم

العدالة الإدارية في السلطة والقسمة الكلمة: (عبقر: بوزن عنبر، وهو موضع (واد) زعمت العرب أنه من أرض الجن، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته وقوته، فقالوا: "عبقري"، وهو واحد، وجمع، وجرى الناس على جمعه على صيغة عباقرة، والأنثى "عبقرية"، ويقال: ثياب عبقرية، وهو هذه البسط التي فيها "الأصباغ والنقوش" حتى قالوا "ظلم عبقري"، وهذا "عبقري قوم" للرجل القوي، وفي الحديث عن وصف عمر فلم أر عبقريًا في الناس يفري فرية وقد خاطبهم الله تعالى بما تعارفوا عليه، قال عز وجل في سورة الرحمن: (وعبقَرِي حسانٍ)[1] والحديث الذي تقدم ذكره جزء من حديث، وصف فيه رسول الله عمر في رؤيا رآها ورؤيا الأنبياء حق – وفيها رأي الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر وقد أخذ دلوًا لإخراج الماء للناس من بئر، فنزع نزعًا يسيرًا (أي أخرج الماء لمدة قصيرة)، ثم تلاه عمر، فاستحالت الدلو في يده غربًا (أي دلوًا ضخمةً)، حتى اكتفى الناس، إنه من مقاصد الإدارة تحقيق الأهداف باستعمال المتاح من الإمكانات، والإدارة العبقرية أو الكفاية الإدارية ترتفع بهذه المقاصد، فتحقق أقصى المطلوبات بدرجة مدهشة بإمكانات يسيرة، قد لا تكفي لتحقيق مثلها، أو قل هي: فن تحقيق ما يراه غير العبقري مستحيلاً أو شبه مستحيل، ويمكن تشبيه الإداري الناجح بالحائك – وهو الخياط – الذي يستعمل القماش والخيوط والآلات لإنتاج لباسٍ، والإداري العبقري، فقد لا يجد كل شيء متوافرًا، فيعمل جاهدا على توفيره وإعمال المتاح لصنع اللباس منه، فعمر رضي الله عنه، كان يتدبر الإمكانيات المتاحة والقليلة طبيعيا وبشريا، ويتم استثمارها بذكاء لخدمة القضية الإسلامية المتمثلة في نشر الإسلام وضمان هيبة الدولة وتفوقها "القيادة الذكية"، وقد تناول المؤلفون العبقرية قديمًا وحديثًا، ومن المحدثين عباس محمود العقاد في عبقرياته الشهيرة ومنها "عبقرية عمر"، والمهم في هذا التناول هو الكفاية الإدارية، لأن جزءًا من التأخر المعاصر منسوب إلى تخلفنا الإداري، وهو أحد الأعراض المرضية العامة لمرض "التخلي عن المنهج الرباني"، فعمر رضي الله عنه كان يخطط بحزم، وبحكمة عالية في جميع

[1] سورة الرحمن: أية ٧٦

المجالات مستشيرا العلماء وذوي الاختصاص قبل الإقدام على أية خطوة، ففي حروبه مثلا كان يستشير الصحابة ذوي الحنكة في الميدان، ثم يراسل القادة لخوضها، لقد أسس نظاما إداريا عالي التنظيم من الدواوين كديوان الخراج وديوان الرسائل وديوان الجند التي بلغت خمسين ديوانا، وهذا يدل على الذكاء والحنكة في التخطيط الحسن لأمور الدولة الفتية[1].

التقويم والتأديب

استعمل عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أسلوب التقويم والتأديب مع أحد ولاته، حيث روى ابن شبَّة: أنَّ عمر رضي الله عنه عين عياض بن غنم على الشَّام، فبلغه أنَّه اتخذ حمَّامًا، ونُوَّابًا، فكتب إليه يقدم عليه، فقدم، فحجبه ثلاثًا، ثمَّ أذن له، ودعا بجبَّة صوفٍ، فقال: البس هذه، وأعطاه كنف الرَّاعي وثلاثمائة شاة، وقال: انعق بها، فنعق بها، فلمَّا جازه هنيهةً، قال: أقبل، فأقبل يسعى حتَّى أتاه، فقال: اصنع بكذا، وكذا، اذهب. فذهب، حتَّى إذا تباعد ناداه: يا عياض! أقبل، فلم يزل يردِّده حتَّى عرَّقه في جبينه، قال: أوردها عليَّ يوم كذا، وكذا، فأوردها لذلك اليوم، فخرج عمر رضي الله عنه، فقال: انزع عليها. فاستقى حتَّى ملأ الحوض، فسقاها، ثمَّ قال: انعق بها، فإذا كان يوم كذا، فأوردها، فلم يزل يعمل به حتَّى مضى شهران، أو ثلاثة، ثمَّ دعاه فقال: هيه! اتخذت نُوابًا، واتَّخذت حمَّامًا أتعود؟ قال: لا، قال: ارجع إلى عملك، وقد كانت نتيجة هذه العقوبة التأديبية أن أصبح عياضٌ بعد ذلك من أفضل عمال عمر رضي الله عنه، فمن مقومات السلوك القيادي لعمر رحمه الله المزاوجة بين اللين والمرونة كأسس للقيادة الناجحة لدولة فتية، فحسب الموقف والظرفية كان يتصرف فاذا استدعى الموضوع الحزم والشدة، فيكون صارما مطبقا للقوانين الإلهية، وفي عام الجوع لم يقطع يد السارق، لأن الموقف لا يستدعي الشدة والعقاب والتقويم بهذا السلوك وهذا ما يسمى بالإدارة الموقفية، ولقد أقال صحابة أجلاء، وعاقبهم بعزلهم عندما حادوا عن النهج السليم والقويم، كما فعل مع عمر وبن العاص والي مصر.

مقاسمة الولاة أموالهم:

كان تطبيق هذا النِّظام أمرًا احتياطيًّا في زمن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه حيث شعر عمر بنموِّ الأموال لدى بعض الولاة، فخشي أن يكون الولاة قد اكتسبوا شيئًا من هذه الأموال بسبب ولايتهم، وقد علَّق ابن

[1] سالم بن سعيد القحطاني "القيادة الادارية: التحول نحو نموذج القيادي العالمي" مجلة البحوث الأمنية، العدد23، ذ والحجة 1423، ص: 25-26

تيمية على فعل عمر هذا، فقال: وكذلك محاباة الولاة في المعاملة من المبايعة، والمؤاجرة، والمضاربة، والمساقاة، والمزارعة، ونحو ذلك هو من نوع الهدية، ولهذا شاطر عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه من عماله من كان له فضلٌ، ودينٌ، لا يُتَّهم بخيانةٍ، وإنما شاطرهم لما كانوا خُصُّوا به لأجل الولاية من محاباةٍ، وغيرها، وكان الأمر يقتضي ذلك، لأنَّه كان إمام عدلٍ، يقسم بالسَّويَّة، وقد قام عمر رضي الله عنه بمشاطرة أموال عمَّاله، منهم: سعد بن أبي وقَّاص، وأبو هريرة، وعمر وبن العاص رضي الله عنهم.

وكان رضي الله عنه يكتب أموال عماله؛ إذا ولاهم، ثمَّ يقاسمهم ما زاد على ذلك، وربما أخذه منهم، وقد قام أيضًا بمشاطرة بعض أقارب الولاة لأموالهم، إذا ما رأى مبرراً لذلك، فقد أخذ من أبي بكرة نصف ماله، فاعترض أبو بكرة قائلاً: إنِّي لم أولي لك عملاً ! فقال عمر: ولكنَّ أخاك على بيت المال، وعشور الأبلة، فهو يقرضك المال تتَّجر به.

التَّوبيخ الشَّفوي والكتابي:

قام عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه على معاتبة الأمراء على تصرُّفاتهم أثناء اجتماعهم به، حيث إنَّه عاتب عَمرًا بنَ العاص مرَّاتٍ، كما عاتب عياضًا بن غنم، وخالداً بن الوليد، وأبا موسى الأشعري، وغيرهم من الأمراء. وأمَّا المعاتبة الكتابيَّة في خلافة عمر؛ فهي كثيرة، منها: أنَّه كتب إلى أحد الولاة، وكان قدم عليه قومٌ فأعطى العرب، وترك الموالي: أمَّا بعد: فبحسب المرء من الشَّرِّ أن يحقر أخاه المسلم.

ومن هذا كلِّه نجد: أن الولاة لم يكونوا بمنأى عن المحاسبة والتَّأديب بصورٍ مختلفةٍ، ولم تشهد البشريَّة مثيلاً لها في عدلها، وجرأتها، ممَّا جعل هذا العصر الرَّاشدي بحقٍّ نموذجًا رفيعًا للحضارة الإسلاميَّة بعد عصر الرِّسالة، على صاحبها أفضل الصَّلاة والسَّلام. هذا وقد كانت حريَّة النِّقاش وبحث المشاكل بين الخليفة، وولاته مكفولةً إلى أقصى ما يمكن تصوُّره من حريَّة النِّقاش، لا يرهب الوالي سلطان الخليفة، وهذا مثال على ذلك: عندما قدم عمر على الشَّام تلقَّاه معاوية في موكبٍ عظيمٍ، فلمَّا رأى معاوية عمر؛ نزل من على صهوة جواده، ومشى إليه؛ وقال: السَّلام على أمير المؤمنين، فمضى عمر، ولم يردَّ عليه سلامه، ومعاوية يسرع خلف جمل عمر، وكان معاوية سمينًا، فلهث. فقال عبد الرَّحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين أتعبت الرَّجل، فلو كلَّمته، فالتفت إليه عمر، وقال: يا معاوية أأنت صاحب الموكب الَّذي أرى، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، قال عمر: مع شدَّة احتجابك، ووقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال معاوية: نعم يا أمير المؤمنين قال: لِمَ ويحك؟ قال معاوية: لأنَّنا ببلادٍ كثر بها جواسيس العدوِّ، فإن لم

نتخذ العدَّة، والعدد؛ استخفَّ بنا، وهجم علينا وأمَّا الحجَّاب؛ فإنَّنا نخاف من الابتذال، وجرأة الرَّعية، وأنا بعدُ عاملك، إن استوقفتني؛ وقفت، وإن نهيتني؛ انتهيت يا أمير المؤمنين قال عمر: ما سألتك عن شيءٍ إلا خرجت منه، إن كنت صادقًا؛ فإنه رأي لبيب، وإن كنت كاذبًا فإنَّها خدعة أريب، لا آمرك، ولا أنهاك. وانصرف عنه.

ورغم شدَّة عمر على ولاته، ودقَّته في محاسبتهم، وإقدامه على عزل مَنْ تحوم حوله شبهةٌ، أو تثور في حقِّه شكايةٌ ذات أثرٍ، فإن رابطةً قويَّةً من الحبِّ، والولاء كانت تربطه بولاته الَّذين كانوا يثقون ثقةً مطلقةً في إخلاص خليفتهم، وسلامة مقاصده، وسياسته، وتجرُّده، وعدله، لقد كان عمر إذا غابت عنه أخبار بعض قادته في ساحات الجهاد يكاد يقتله القلق، ويستبدُّ به الخوف، والشَّفقة عليهم، وكان في بعض الحروب الكبرى يخرج بنفسه يتنطَّس الأخبار، ويتحسَّس الأنباء، علَّه يطمئن عليهم. وفي حالات أخرى كان يلتقي معهم، فنجد أمارات الحبِّ العميق بينهم، فلمَّا سار عمر لفتح بيت المقدس، وانتهى إلى الجابية؛ لقيه قائداه عمر وبن العاص، وشرحبيل بن حسنة، فوافقا عمر راكبًا، فقبَّلا ركبته، وضمَّ عمر كلَّ واحدٍ منهما محتضنهما.

اهتمام عمر بن الخطاب بالبيئة القيادية

المصداقية في بناء الدولة وتعيين القادة الأمناء الصادقين الأقوياء في الولايات

الحكامة في التدبير للموارد المالية للدولة: مع التوسعات والفتوحات التي عرفت في عهده، جعله يفكر في طريقة يدبر فيها الأموال الضخمة من أموال الفتوحات وغنائمها وإيرادات الجزية والخراج والصداقات ومع كثرة الجيوش وازدياد احتياجاتها الحربية والتسييرية ونفقاتها وضع قواعد ثابتة للتدبير الاقتصادي، ولم يترك الأمور بيد الولاة والعمال، فأنشأ الدواوين "ترصد المداخيل والنفقات"، وقال عمر: "ليس أحد أحق بهذا المال من أحد إنما هو الرجل وسابقته والرجل وغناؤه والرجل وبلاؤه والرجل وحاجته[1]، ولذلك قسم الفاروق العطاء من بيت المال أو الديوان إلى أنواع ذوي السوابق الذين بهم حصل المال من يغني المسلمين في جلب المنافع لهم كولاة الأمور والعلماء الذين يجلبون لهم منافع الدين والدنيا من يبلي بلاء طيبا، فيدفع الضرر عنهم كالمجاهدين في سبيل الله من الجنود والأعوان والمخبرين والناصحين ونحوهم ذوي

[1] جامع الأصول 2/71، أخبار عمر ص: 94

الحاجات[1]، لم يعرف المسلمون خليفة أو ملكا أو زعيما بعد عمر جعل بيت المال ملكا للمسلمين ينفق منه على الجيوش المحاربة، ويوفر ما يبقى منه بين المسلمين يأخذون منه أعطياتهم في كل عام، تقدم إليهم دون التكلف بمشقة طلبها، وكان يحملها بنفسه رحمه الله إلى البادية القريبة من المدينة، فيسلمه للناس بأيديهم، ففي عام الرمادة كان يحمله على ظهره، ويسعى به إلى الأعراب النازلين حول المدينة، ولم يعرف المسلمين زعيما بعده حمى الآدميين والرفق بهم في أمرهم كله[2]، فإذا نظرنا إلى الحكام حاليا، فتدبير أمور الرعية أصبح ثانويا، ولن يستجاب لاحتياجاتهم إلا عندما تتحرك الاحتجاجات الشعبية وبقوة سلمية، فالحكومات العصرية لا توفي بالتزاماتها تجاه الرعية، ولا تلتزم بالبرنامج الانتخابي، بل تحول المواطن إلى مجرد وسيلة لبلوغ السياسي للكراسي، وتتخلف عن وعودها، حيث قال عمر في خطبته: "إن أحسنت فأعينوني، وإن أسات فقوموني، وأطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم"[3].

الحكامة في التدبير العسكري والتوسع في مجال الفتوحات من خلال تعيين أفضل القياد العسكريين

أكد أبو عبد الله محمد بن سلامة في كتابه "عون المعارف" كانت أيامه فتوح الأمصار منها دمشق، فتحت صلحا على يد ابي عبيدة وخالد بن الوليد وبيسان وطبرية وقيسارية وفلسطين وعسقلان، وسار بنفسه، ففتح بيت المقدس صلحا، وفتحت أيضا بعلبك وحمص وحلب ونسرين وانطاكية والرقة وحران والمول والجزيرة ونصيبين، وفتحت القادسية والمدائن على يد سعد بن أبي وقاص، وأزال ملك الفرس، ولجأ إلى فرغانة، والترك، وفتحت كور دجلة والأبلة على يد عتبة بن غزوان، وكذلك كور الأهواز على يد أبي موسى الأشعري... وفتحت مصر على يد عمر وبن العاص، وأيضا الإسكندرية وأنطابلس، وهي برقة وطرابلس المغرب[4]

[1] عبد العزيز بن محمد بن عد المحن الفريح "محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب"، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى 1430/2000

[2] طه حسين "الشيخان "، دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة ص: 228

[3] طه حسين "الشيخان "دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة ص: 47

[4] عبد العزيز بن محمد بن عد المحن الفريح "محض الصواب في فضائل امير المؤمنين عمر بن الخطاب"، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى 1430/2000 ص: 419

الحكامة في التدبير للأمور السياسية

قال عنه طه حسين: "أقام هذا الرجل العربي – الذي لم يعرف عن الحضارات الأجنبية معرفة مفصلة ولا دقيقة – نظام الدولة على نحو يكفل منافع الناس، ويكفل لهم العدل والإنصاف"[1]، وقال ويل ديورانت عنه: "كانت صروف الدهر، وتبعات الحكم، قد أنضجت عقله، فجعلته مزيجا عجيبا نادرا من حدة الطبع والقدرة على الحكم الهادئ الصادق"[2].

انطلاقا من المقولتين السالفتين، فعمر كان ذا دربة وحنكة وممارسة سياسية، لم يدرسها في الجامعات،كما يدرسها حكام اليوم الذين تعلموا فنون السياسة من فلاسفة أمثال: أرسطو (الاسكندر المقدوني) أو ميكيافيلي بدراسة كتابه "الأمير" (حكام من القرن ١٧ إلى القرن ٢١)، بل مارسها رفقة أصحابه، ألا وهو الرسول الكريم بمصاحبته، ومجالسته في مجالس الذكر والإيمان، لقد أقر عمر رضي الله عنه مبدأ المراقبة الشعبية على الرعية ونفسه، وكان يعد مؤتمرا في موسم الحج، ليناقش فيه منجزات ولاة الأمصار، ويتابع من خلاله أحوال الدولة والرعية.

نشر روح النقاء والذوق والأدب والحياء والأخلاق الفاضلة في المجتمع الإسلامي

تمثله للشعر والأدب

قال لا يغرنك عيش ساكن قد يوافي بالمنيات السحر[3]

وعن الأصمعي قال[4]: ما قطع عمر رضي الله عنه أمرا إلا تمثل ببيت من الشعر.

وعن الشعبي قال[5]: كان عمر رضي الله عنه شاعرا.

الأدب والشعر كان من سمات ومقومات شخصية عمر رحمه الله، استمدها من بيئته التي كان الشعر فيها سمة على القوة والأدبية للإنسان العربي، لأن الأسواق آنذاك كانت مجالا للمبارزات والمسابقات الأدبية، وخاصة نظم الأشعار في المناسبات الدينية والاجتماعية، وطبيعي أن ينهل منها رضي الله عنه، ويتشبع بها فكان يتذوق الأدب كفن راق وسام لديه، فالفصاحة اللغوية بلغت قمتها لديه وبقوة لغته، كلفه القرشيون بالحوارات الديبلوماسية مع القبائل والأمم المجاورة في حالتي السلم والحرب، وهذا دل على براعته

[1] طه حسين "الشيخان "، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة
[2] ابن سعد "الطبقات"
[3] ابن الجوزي "مناقب ص: 187" والهندي "كنز العمال 3/818"
[4] ابن الجوزي "مناقب ص: 188
[5] ابن الجوزي "مناقب ص: 188

الأدبية في فن استعمال التفاوض والاقناع للآخر، وقال ابن مسعود: "لو وضع علماء أحياء العرب في كفة ميزان ووضع علم عمر في كفة ميزان ووضع علم عمر في كفة لرجح علم عمر، ولو كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم، ومجلس كنت أجلسه مع عمر أوثق في نفسي من عمل سنة"[1].

كان غزير العلم واسع الخبرة في سفرياته التجارية والدبلوماسية، وفي كثير من المواضع تزامنت فراسته مع نزول الوحي عليه السلام بقوة حكمته وبداهة فراسته، كما أنه في أخلاقه كان قدوة سلوكا وقولا، لأنه من الحكمة أن يكون مثالا فاضلا يحتذيه الناس، ولا تخالف أفعاله أقواله، ومن هنا دعاهم لتقويمه إن أساء التصرف والتدبير لشؤونهم في خطبته ليوم الجمعة، وسردنا قوله آنفا، وهذه أخلاق قيادية رفيعة تنبع من نفس مؤمنة ومحاسبة ولوامة، ليس كقادة العصر الحالي لا تهمهم سوى مصالحهم الخاصة، ولا قيمة للقدوة عندهم يقولون ما لا يفعلون.

روح النقاء والحياء

الحياء شعبة من شعب الإيمان، حيث كان خلقه الاستحياء في أقواله وسلوكه، فقد استأذن المرأة التي أطعم أبناءها الجياع، وهذا من باب الحياء الأخلاقي في سيرته، فالقيادي الفعال هو الذي يمتلك حسا أدبيا وفنيا وأخلاقيا في تعامله مع الناس، والحياء واجب أخلاقي في مجالسة العلماء والناس، لكنه غير محمود عندما يعجز الإنسان عن طرح السؤال وفهم أمور الدين والدنيا.

الخاتمة والدروس المستقاة

يعجز قادة اليوم عن تطبيق القيادة القويمة التي سلكها عمر رضي الله عنه فاجتمعت فيها خصائص القيادة المعاصرة من إعمال لمبدأ الشورى، ويسمونه القيادة التشاركية، وتمكين العاملين بالمنظمة، وتفويض المهام، أي القيادة بالتفويض، عمل بها رحمه الله، والقيادة الإنسانية أو إدارة العلاقات الإنسانية، فكان متواضعا رحيما، وحريصا على خدمة مصالح الرعية، جامعا بين الصرامة والمرونة، كما تقتضيها المواقف، وتميزت سياسته بالتخطيط الاستراتيجي الرشيد والعقلاني المستمد من عمق الشرع الإسلامي الذي رعى مطالب الدنيا والآخرة، واجتمعت فيه رضي الله عنه سمات القيادي الكوكبي أو العالمي، كما تتبجح بذلك آخر الكتب الغربية جمع بين إدارة الأزمات "أزمة عام الجوع ووباء الطاعون"، والتحويلية الإبداعية بابتكار

[1] عبد الله بن احمد "زوائده على فضائل الصحابة"1/295، مختصر أو إسناده صحيح والطبراني في "المعجم الكبير" 9/189، رواه الطبراني بأسانيد ورجال هذا رجال الصحيح غير أسد بن موسى وه وثقة.

أساليب تدبير جديدة في الجوانب المالية والاقتصادية والعسكرية والإدارية من خلال عدم مركزة القرارات والإدارات في المدينة أو مكة، بل لولاة الأقاليم والأمصار صلاحيات تدبير الشأن المحلي، مالم يخالفوا أحكام الشريعة الإسلامية، فسيرته يجب العودة إليها، وإعادة تشريحها، والتأمل فيها، ليستخلص الباحثون والدارسون منها معالم ومقومات القيادة العصرية العالمية المستمدة من المنهج الإسلامي القويم، وعندما حاد القادة الإسلاميون في عصرنا عن هذا المنهج أصبح حال الأمة ضعيفا ومتهالكا، تتهافت عليها الأمم لاستغلال ثرواتها، فالأجيال الصاعدة، ومن خلال سن سياسات تربوية عامة، تعيد للصحابة قوتهم في القيادة، ليقتدي بهم الناشئة، قضية ومسألة تاريخية ملحة لإعادة أمجاد الصدر الأول، والرعيل الباني لأمة بلغ صداها إلى أقصى بقاع الأرض، واستطاعوا بالحوار والتواصل الفعال والعقلاني، وحسن الإدارة الرشيقة نشر الدين الإسلامي، وما تتبجح به الحضارات المعاصرة في مجال صناعة القادة، فالحضارة الإسلامية، ومن خلال اتباع المنهج الإسلامي المعتدل والصحيح، بنى الصحابة أجيالا من القادة الأقوياء الدين صنعوا مجد هذه الأمة.

المراجع:

باللغة العربية:

- عبد العزيز بن محمد بن عبد المحن الفريح "محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب"،، مكتبة أضواء السلف الطبعة الأولى ٢٠٠٠ / ١٤٣٠
- طه حسين "الشيخان "، دار المعارف، بمصر الطبعة الرابعة
- أحمد ربيع أحمد إسماعيل "جوانب من عبقرية عمر بن الخطاب في إدارة الدولة الإسلامية"، كلية العلوم والآداب بمحافظة عقلة الصقور، جامعة القصيم السعودية
- عباس محمود العقاد "العبقريات الإسلامية، المجلد ١، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة طبعة ١٩٨٤
- جيمس كوزيس وباري بوسنر "تحديات القيادة" قراءة عبد الرحمان رشيد مكتبة جير الطبعة الخامسة
- سالم بن سعيد القحطاني "القيادة الادارية التحول نح ونموذج القيادي العالمي"، مجلة البحوث الأمنية العدد ٢٣ د والحجة ١٤٢٣
- أدهم شرقاوي "عندما التقيت عمر بن ا لخطاب"، دار كلمات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٧
- تفسير ابن كثير

باللغة الانجليزية:

- Philipe Brest Leadership in Public Sector Organisations: the Case of Secondary School French Principals Politics and Management Public, Vol 28 / 11 / 2011.